التعقيم واصلاح النسل

في ١٩ يونيو الماضي بعث مراسل « الصحافة المشتركة » البرليني برقية الى نيويورك قال فيها ان محكمة التعقيم النازية بينت في تقريرها الاول الذي نشر في ذلك اليوم ان ٣٢٥ رجلا وامرأة من سكان برلين عملت لهم عمليات التعقيم خدمة للاجيال المقبلة . من هؤلاء ١٤٣ تقدموا على اختيارهم لعمل هذه العملية التي تحول دون اخلافهم نسلا ، ولكن من دون ان تترك اي اثر آخر في حياتهم الجنسية . وان معظم الذين عملت لهم هذه العملية كانوا من الرجال

في ٢ يناير سنة ١٩٣٤ بدأ الالمان ينفذون القانون القاضي بتعقيم المصابين من الالمان بأمراض وراثية مثل ضعف العقل الخلقي[١] والسرسام[٢] والجنون الهيجي الانقباضي[٣] والصرع الوراثي[٤] وقفار هنتنتن[٥] (داء الرقص) والكمه (العمى) الوراثي والصمم الوراثي وادمان المسكرات . ويؤخذ من انباء المانيا انهُ ينتظر تعقيم ٤٠٠ الف الماني مصابين بهذه الامراض او ما هو من قبيلها والغرض من ذلك تطهير الآريين من الالمان من كل شائبة تشوبهم

وقد كان من هذا القانون باعثاً على احتدام المناقشة في موضوع تحسين النسل بالتعقيم ، فسألنا القراء عن حقيقة التعقيم وكيف يختلف عن الخصي ، وما اثره في حياة الانسان المعقم بوجه عام ، وفي حياته الجنسية بوجه خاص ، واي الناس يجب ان تعمل لهم عملية التعقيم ، وفي اي البلدان تمارس هذه العملية ، وهل هي عملية آمنة وتنطوي على خطر ام لا ؟

يقدر علماء الولايات المتحدة الاميركية ان نحو ٢٥ مليوناً من الشعب الاميركي مصابون بأحد الامراض والعاهات المذكورة في صدر هذا المقال فلا يصلحون للقيام بما يفرضهُ عليهم المجتمع من تبعات ، او لا تواتيهم احوال البيئة الاقتصادية على ذلك . فتوسط المرضى في مستشفيات الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٣١ كان ٣٩٦٫٧٧٥ اما عدد المرضى في مستشفيات الحكومة الخاصة بالامراض العقلية فبلغ في آخر سنة ١٩٣٠ نحو ٢٢٤ الفاً فزاد هذا العدد في تلك السنة عن عدد السنة السابقة بنحو ١٢ الفاً . من هؤلاء ٦٤٢٥٣ مصابون بضعف العقل والصرع . وكان في سجون الولايات سنة ١٩٣٠ نحو ١١٧ الف سجين . وفي سجون الحكومة المتحدة ١٤٤٧٣ سجيناً . وبلغ عدد الذين حوكموا وسجنوا في اميركا سنة ١٩٣١ نحو ٧١ الفاً . تمان الحكومة الاميركية تميل الى الاعتقاد بأن عدد مدمني المخدرات في بلادها سنة ١٩٣١ كان مائة الف مدمن . والاحصاء

(١) hereditary feeble-mindedness (٢) Schizophrenia (٣) manic-depressive insanity.
(٤) hereditary epilepsy (٥) Huntington's chorea.

الاميركي العام لسنة ١٩٣٠ يدل على ان عدد البكم في اميركا سنة ١٩٣٠ كان ٦٣٤٨٩ اكمه وعدد الصم ٩٧٠٨٤ اصم وفي البلاد ملاوة على ما تقدم نحو عشرة ملايين متعطل عن العمل، والراجح ان خمسة ملايين منهم لن ينسنى لهم وجود عمل في المستقبل كائناً تحسن الاحوال الاقتصادية ما كان. فالقول بأن في الولايات المتحدة الاميركية نحو ٢٥ مليوناً من الناس لا يصلحون للقيام بما يفرضه عليهم المجتمع من التبعات — او لا تواتيهم البيئة الاقتصادية على ذلك — ليس فيه غلو ولا اغراق

ويذهب بعض المتطرفين من دعاة تحسين النسل في اميركا امثال وجم Wiggam وهنتنغتن Huntington وستودرد Stoddard الى ان الناس المصابين بأمراض او عاهات من هذا القبيل خطر على الجنس البشري. فهم يعتقدون ان هؤلاء الناس يورثون امراضهم وعاهاتهم، وان الحضارة التي بنيت بأرواح الانبياء وعقول العباقرة، انما تخلّف، لافزام الجسم والعقل والروح. ويضيفون الى وجوب تعقيم اصحاب الامراض والعاهات الوراثية التي تقدم ذكرها، وجوب الحيلولة بين بعض المجرمين واخلاف النسل

وهناك طائفة اخرى من دعاة تحسين النسل، تذهب الى ان الخطر ليس من الشدة بحيث يصوره وجم وهنتنغتن وستودرد. فهم يقولون ان اصحاب الامراض والعاهات المذكورة لا يزداد عددهم اكثر مما كان يزداد في الماضي، وان زيادة عددهم في دفاتر الاحصاء، ليست الا زيادة ظاهرة، سببها شدة العناية الآن بفحصهم وتشخيص امراضهم وعاهاتهم والتبليغ عنها وتدوينها. ثم يتمادون فيقولون ان الحضارة الميكانيكية بحاجة الى امثال هؤلاء ليقوموا بالاعمال الآلية التي لا تحتاج الى قدح زناد الفكر

***

وقد كانت الولايات المتحدة الاميركية اسبق الامم الى سن قوانين تقضي بتعقيم المصابين بأمراض وراثية. ففي سنة ١٩٠٧ سنّت ولاية انديانا اول قانون من هذا القبيل، وكانت ولاية مشيغن قد حاولت سن مثل هذا القانون سنة ١٨٩٧ فرفض مشروعه في مجلسها النيابي. وفي اميركا الآن سبع وعشرون ولاية من ثمان واربعين ولاية سُنّت فيها هذه القوانين ويبلغ عدد الذين عملت لهم عمليات التعقيم ودونت اسماؤهم ١٧٨٩٨ شخصاً وهناك من عملت لهم هذه العملية ورفضوا تدوين اسمائهم خشية بعض العقد القضائية

وتبعت الولايات المتحدة الاميركية في هذا، ولاية البرتا — وهي احدى ولايات كندا — سنة ١٩٢٨ وبلادا الدنمارك وفنلندا ومقاطعة ڤو Vaud في سويسرا سنة ١٩٢٩ وولاية نيراكروز بالمكسيك سنة ١٩٣٢ والمانيا سنة ١٩٣٣

هذه هي الحكومات التي اصدرت تشريعاً بهذا المعنى. ولكن حكومات انكلترا والنروج والسويد وغرب استراليا، تعنى الآن بدراسة الموضوع توطئة للتشريع فيه

وكانت بعض المحاكم الاميركية قد حكمت بأن هذه القوانين غير دستورية ، لما كانت طريقة التعقيم محصورة في الخصي في الرجل او في ما يقابله في المرأة . فلما استنبطت طريقة جدّ الأسهر (القناة المنوية) Vasectomy في الرجل وجدّ قرن الرحم في المرأة salpingectomy زال اعتراض المحاكم

وعملية جدّ الاسهر عملية صغيرة بسيطة تقوم على جدّ القناتين المنويتين وربطهما فيمتنع بذلك افراز النطف المنوية . اما عملية جدّ قرن الرحم فأخطر من عملية جدّ الاسهر ويحتاج فيها الى شق البطن وجدّ قناتي المبيضين وربطهما حتى يمتنع وصول البيضة من المبيض الى الرحم . والعملية الاولى تتم في نحو ٤٥ دقيقة وألمها قليل والنقه منها لا يستغرق الا بضعة أيام من دون ان يحول بين الرجل وقيامه بعمله اليومي . اما العملية الثانية فتقتضي استعمال مخدّر عام وشق البطن فهي من قبيل عملية استئصال الزائدة الدودية . ولا بدّ للمرأة من ان تبقى في المستشفى تحت اشراف الطبيب والممرضة مدة عشرة أيام . ولكنهما — اي العمليتان — على كل حال لا تؤثران اي تأثير غير طبيعي في حياة الرجل والمرأة من الناحية الجنسية . فحيض المرأة مثلاً لا يتأثر بهما . ولكن اذا تقسم رجل وزوجته للتعقيم من تلقاء نفسيهما فالاطباء الاميركيون يفضلون ان تعمل العملية للرجل ، لانها اسهل وتكفل تحقيق الغرض منها

***

يظهر من مقالات متتابعة في هذا الموضوع نشرتها مجلة السينتفك اميركان ، ان علماء تحسين النسل (اليوجنيين) مجمعون على ان المتوكلين — مثل المتعطلين عن العمل والصم والبكم — ومقترفي الآثام — امثال المتشردين والمجرمين — والمنحطين امثال انمهّار العاديين Indigent ومدمني المخدرات — والملوثين — امثال المصابين بالدرن والزهري — يجب ان لا يخضعوا لقانون التعقيم رغماً عنهم لان اصابتهم هذه مكتسبة في الغالب لا متوارثة . ولكن هناك طائفتان من الناس اولاهما طائفة المصابين بأمراض عقلية مثل المجانين ، والثانية طائفة ضعاف العقول مثل المتوحين والبله . وقد اختلف العلماء في اسباب اصابتهم

ومما لا ريب فيه ان الوصول الى رأي قاطع في الموضوع لا تزحة عنهُ لكل مشروع غرضهُ تحسين النسل عن طريق التعقيم

رأي الدكتور ادولف لورنتز

الجراح النمسوي المشهور

أومن بالتعقيم لان الواجب على الطب ان يمنع المرض ، والتعقيم وسيلة من وسائل منع المرض العقلي وغيره . واعتقد ان التعقيم يجب ان يشمل جميع اصابات الامراض العقلية ، والاصابات الوراثية من مدمني الكحر والمجرمين وضعاف الاخلاق . والامل ان تصيب هذه الطريقة في المانيا نجاحاً والراجح انها تصيب . فتنتشر بعدئذ في جميع الامم كوسيلة للتخلص من حالة الانسانية

فمعظم علماء تحسين النسل متفقون على ان الامراض العقلية مكتسبة اكثر منها متوارثة ولكن كثيرين تذهب الى ان الضعف العقلي متوارث اكثر منهُ مكتسب . والامر الذي يجعل الحكم في هذا الموضوع متعذراً انك قد تجد أبله مولوداً من أب وأم سويين ولكنهما يحملان في عقود كروموسوماتهما عيوب الضعف العقلي . فالخطر على المجتمع في حالة كهذه ليس الأبله — لأن الابله ليلهو فلما يخلف نسلاً لاعراض انتساء عنهُ — بل الوالدان السليمان في الظاهر

اما احصاء العمليات في اميركا فيدلُّ على ان عمليات التعقيم لا تماشي الرأي العلمي السائد في في هذا الموضوع . ففي ١٥ ولاية من الولايات المتحدة الاميركية ، عملت ٩٢٦٠ عملية تعقيم اجبارية منها ٦٢٤٦ عملية لاشخاص مصابين بالجنون Insanity و ٢٩٣٨ عملية لاشخاص مصابين بضعف العقل و ٥٥ عملية لاشخاص مصابين بالصرع و ١٦ عملية لمجرمين و ٥ عمليات لاشخاص مصابين باضطراب الاعصاب . فيبدو من هذا الاحصاء ان العمليات التي عملت لاناس مصابين بالجنون هي ضعف العمليات التي عملت لاناس مصابين بضعف العقل ، مع ان علماء تحسين النسل يجمعون او يكادون ، على ان ضعف العقل اكثر انتقالاً بالوراثة من الجنون

***

وقبل ان نختم هذا المقال نريد ان نذكر الطريقة التي تجري عليها حكومة ولاية كاليفورنيا في تطبيق قانون التعقيم . فقانون التعقيم الكاليفورني ، يجعل عملية التعقيم اجبارية للمجانين وضعاف العقول الذين في منشآت الحكومة مثل السجون ومستشفيات الأمراض العقلية . فاذا ظهر لمدير القسم الطبي في أحد هذه المنشآت ان تعقيم احد هؤلاء مرغوب فيهِ ، حماية لهُ وللمجتمع وللذريات المقبلة ، قدَّم تقريراً في الموضوع الى القسم الصحي في حكومة الولاية ومدير قسم المنشآت كالسجون والملاجيء ، فاذا حكما بوجوب العملية وجب ذلك . ولكن في الواقع يستشار اقرب اقرباء المريض اولاً ويطلب اليهِ ان يعلن قبوله كتابةً . وقد اثبت الاختبار ان اقرباء المريض كانوا في الغالب يرحبون اشد الترحيب بالعملية ، بل كثيراً ماكانوا هم البادئين في الحث على عملها . فطريقة تنفيذ القانون الكاليفورني يجمع جمعاً عمليًّا بين عنصري الاجبار والاختيار

وعنصر الاجبار في هذه القوانين ، اصبح مبدأً قانونيًّا معترفاً بهِ في اميركا . ففي سنة ١٩٢٧ نظرت المحكمة الاميركية العليا في حكم محكمة بولاية فرجينيا فقررت ان للولاية ان تنص على مبدإ الاجبار في احوال معينة . وكتب الحكمَ القاضي الاميركيُّ المشهور اوليفر وندل هولمز فقال « يكفينا ثلاثة اجيال من البله » ثم قال ان احداً لا ينازع في حق دولة من الدول ان تبذل حياة ابنائها الممتازين عقلاً وجسوية ، في الحرب ، فمن المستغرب ان ينازع في حقها ان تطلب في ايام السلم من ابنائها المنحطين تضحية صغيرة في سبيل حماية الذريات المقبلة

التمثال للمقرئ : هو التمثال المعروف بتمثال بتحف فؤاد الأول الزجاجي والآن بدار تحف القاهرة وقد ورد وصفه في المثال التمثال السفلي : فلاح مصري قديم يمثل تماماً في المتحف بتحف فؤاد الأول الزراعي العلي — تصوير الدكتور حسن كمال

نماذج رأس وصدرين في متحف فؤاد الأول الزراعي العلي . والأصل بدار تحف القاهرة (تصوير الدكتور حسن كمال)

نماذج البؤس مصرية قديمة في متحف فؤاد الأول الزراعي العلي والأصل بدار تحف القاهرة (تصوير الدكتور حسن كمال)